Journal of Alasmarya University: Sharia and Human Sciences
Vol. 35, No. 2, June 2022, 165-177
مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد 35 ، العدد 2، يونيو 2022، 165-177

البحث عن "واو" والبحث عن المعنى ـ قراءة في "الوقائع المفقودة" لإبراهيم الكوني

للباحث الفرنسي: لوك – ويلي دوهوفيلس

نقله إلى العربية وعلق عليه: مصطفى مفتاح الجندي

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية

الملخص:

إن هذا البحث ترجمة لبحث للناقد الفرنسي Luc-Willy Deheuvels لوك-ويلي دوهوفيلس، شارك به في ندوة عن المدينة في الرواية المعاصرة بالمشرق، وهو بحث يتعلق بـ الوقائع المفقودة من سيرة المجوس ونصوص أخرى، للكاتب الليبي إبراهيم الكوني، ومقاربة الناقد الفرنسي تهدف إلى الكشف عن المعنى المجازي للواحة المفقودة، ، الحاضرة دوما في أدب إبراهيم الكوني، المسماة "واو". وقد ربط، بمهارة بين البحث عن هذه الواحة المفقودة والبحث عن معنى لحياة الإنسان على هذه الأرض. وقد كانت مقاربته لهذه النصوص ترتكز على ثلاث نقاط أساسية: المدينة الضائعة، والمسألة الأجناسية- أي تلك المتعلقة بالجنس الأدبي- والبحث عن المعنى، وفيما يتعلق بمنهج البحث فالدراسة تتبنى أطروحات النقد الجديد، التي ترى أن النص مكتف بذاته، وليس في حاجة إلى شيء من خارجه لكي يفهم. أما الهدف من الترجمة فيكمن في أمرين: أولهما تعريف القارئ العربي بعامة، والليبي على وجه الخصوص، ببعض ما كتب عن إبراهيم الكوني في اللغة الفرنسية، ثانيهما الإسهام في مد القارئ العربي بمفاتيح تعين على فهم هذا الأدب.

الكلمات المفاتيح: الوقائع المفقودة ، واو، الصحراء، الطوارق.

المقدمة:

يتعلق البحث المترجم هنا بعمل من أعمال الروائي الليبي إبراهيم الكوني وهو: "الوقائع المفقودة من سيرة المجوس ونصوص أخرى" وقد سبق للكوني أن نشر هذه النصوص بعنوان "الربة الحجرية ونصوص أخرى" سنة 1992 ثم أضاف إليها الوقائع المفقودة من سيرة المجوس كأنما أراد أن ينبه القارئ إلى العلاقة التي تربط نصوص الكتاب برواية المجوس، وهو ما فعله الناقد الفرنسي لوك- ويلي دوهوفيلس في هذا البحث، ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا أقدم على ترجمة هذا البحث؟ وما الفائدة التي ترجى من اطّلاع القارئ العربي عليه؟ للإجابة على هذا السؤال رأيت أن أقدم بين يدي الترجمة تمهيدا يحوي النقاط التالية: النقطة الأولى ستقدم تعريفًا بالناقد الفرنسي، وذكرًا لأهم أبحاثه المتعلقة بالأدب العربي، في حين ستكون الثانية خاصة ببعض الملاحظات حول الترجمة العربية لبحث " مكان اليوتوبيا"، وهو بحث أنجزه السيد دوهوفيلس عن بعض أعمال الكوني كما سيأتي بيانه، أما ثالثة

Corresponding author. Email: m.aljoundi@asmarya.edu.ly

ISSN: 2706-9524 (Print) ISSN: 2706-9532 (Online)

Received 03 April 2022; final version received 31 May 2022-; Accepted 09 June 2022;
Available online 10 June 2022

النقاط فستخصص لبيان المنهج المتبع في الترجمة، هذا فيما يتعلق بالشق الأول من الدراسة وهو التمهيد، أما الشق الثاني فسيكون خاصا بالنص الفرنسي مترجمًا إلى العربية.

1.1 ترجمة الناقد:

هو لوك-ويلي دوهوفيلس واسمه باللغة الفرنسية هو:

Luc-Willy Deheuvels

وهو أستاذ جامعي بمعهد اللغات والحضارات الشرقية بباريس

Institut national des langues et civilisations orientales

والذي يسمى اختصارًا بـ: "INALCO" وقد شغل السيد دوهوفيلس منصب مدير مركز بحوث الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط، ورئيس لجنة التحكيم الخاصة بتخريج المبرزين في اللغة العربية[1].

وقد اختلف في نقل اسمه إلى العربية؛ فقد وجدته في الوكيبيديا دوهوفالس، أما مترجما كتاب شعرية المكان في الأدب العربي الحديث فقد عرباه ديهوفل، وقد راسلت معهد اللغات والحضارات الشرقية فأعلمت أن النقل الصحيح لاسمه هو دوهوفيلس. وهو باحث مهتم بأعمال الروائي الليبي إبراهيم الكوني وقد نشر عنها ثلاثة أبحاث هي:

1-Quête de Waw et quête du sens dans l'œuvre d'Ibrahim Al-kuni. in les annales de l'Autre Islam Paris 2002.

وهو البحث المترجم هنا، وقد تحصلت على صورة منه من المكتبة الوطنية بمدينة ستراسبورغ وهو بحث يتعلق بالواحة المفقودة "واو" وهي تيمة[2] حاضرة في أغلب روايات إبراهيم الكوني، والبحث منشور في مجلة حوليات الإسلام الآخر.

2-Langues et signes dans l'œuvre d'Ibrahim Al-kuni.

اللغات والرموز في أعمال إبراهيم الكوني بحث قدم في ندوة عقدت بجامعة جورج تاون يومي 28\29 أبريل 2011، للأسف لم أستطع الحصول على هذا البحث.

3-Le lieu de l'utopie dans l'œuvre d'Ibrahim Al-kuni.

مكان اليوتوبيا في أعمال إبراهيم الكوني وقد قدم في الندوة التي عقدت بباريس عن جماليات المكان في الأدب العربي الحديث، وكان الكوني حاضرًا في هذه الندوة، وقد طبعت أعمالها في كتاب بإشراف بطرس حلاق وآخرين عنوانه الأصلي هو:

La poétique de l'espace dans la littérature arabe moderne, actes publiés sous la direction de B. Hallaq, presses Sorbonne nouvelle, Paris 2002.

[1] معلومات موجودة على موقع معهد اللغات والحضارات الشرقية: www.inalco.fr

[2] تعريب للكلمة الفرنسية théme بمعنى موضوع وهناك من يترجمها بموضوعة بالتاء المقفلة وبعض المترجمين يفضل تعريبها بتيمة منعا للبس فاقتديت بهم. المترجم

وقد ترجم إلى العربية بعنوان: شعرية المكان في الأدب العربي الحديث، وسيكون لي وقفة مع هذه الترجمة فيما بعد.

مؤلفاته الأخرى: أنجز السيد دهوفيلس الكثير من البحوث المتعلقة بالأدب العربي نذكر منها:

1-Manuel d'arabe moderne

كتاب من جزأين لتعليم اللغة العربية للفرانكفونيين.

2-Alchimie et structure de l'imaginaire dans le Barrage de Mahmoud Messadi, in paroles, signes, mythes[1], mélanges offerts à Jamel Eddine Bencheikh, Damas, 2001.

الكيمياء وبنية المتخيل في رواية السد لمحمود المسعدي[2]، عدد مهدى لجمال الدين بن الشيخ[3]، دمشق، 2001.

3-Islam et pensée contemporaine en Algérie.

الإسلام والفكر المعاصر في الجزائر.

والأعمال كثيرة ومن أراد الاستزادة فعليه بزيارة موقع المعهد على الشبكة العنكبوتية.

1.2 ملحوظات حول الترجمة العربية لبحث: "مكان اليوتوبيا" :

قدم السيد دوهوفيلس في هذا البحث قراءة في أعمال الكوني التالية:

الخسوف رباعية روائية أجزاؤها هي: البئر، الواحة، أخبار الطوفان الثاني، نداء الوقواق. وهي أول نص روائي نشره الكوني سنة 1989. ولم تترجم إلى الفرنسية.

نزيف الحجر نشرت سنة 1990. وقد ترجمت إلى الفرنسية بعنوان:

Le saignement de la pierre.

المجوس : رواية من جزئين نشرت سنة 1991. وقد رجع الناقد للنص العربي لأن الترجمة الفرنسية ظهرت بعد نشره لبحثه بوقت ليس بالقصير، ومن الحق أن رواية المجوس، وما كتب عنها من نقد، سواء باللغة العربية أو الفرنسية، تستحق أن تفرد بدراسة خاصة، أود هنا فقط أن أقدم بعض الملحوظات عن الترجمة العربية لهذا البحث.

[1] مجلة من إصدار المركز الثقافي الفرنسي بدمشق.
[2] كاتب تونسي ولد 1911 ومات 2001 من أشهر كتبه رواية السد وقد نشرت سنة 1955، ورواية حدث أبو هريرة قال وقد نشرت سنة 1973. ينظر أحمد الطويلي محمود المسعدي وكتابه حدث أبو هريرة قال ، دار بو سلامة للطباعة ، والنشر والتوزيع. تونس.
[3] باحث جزائري ولد سنة 1930 ومات سنة 2005 كان أستاذا بجامعة باريس الثامنة. من أشهر كتبة "الشعرية العربية".

مما لاشك فيه أن الباحثة نهى أبوسديرة، التي قامت بالترجمة، لم تطلع قط على أي من أعمال إبراهيم الكوني؛ الأمر الذي أوقعها في بعض الأخطاء، التي كان تلافيها ممكنا لو قرأت الباحثة بعض ما كتب الكوني. وهذه عينة من أخطاء الترجمة:

ترجمة كلمة argent بالمال، وهي تعني المال وتعني الفضة أيضا، غير أن السياق لا يقبل إلا الفضة وسأنقل النص الفرنسي ثم ترجمته العربية كما قدمتها الباحثة، معقبا بالترجمة التي أقترحها:

C'est ce lien qui explique, par ailleurs, la malédiction de l'or et la prédilection des Touaregs pour l'argent[1]

نقلت الباحثة الفاضلة هذا النص إلى العربية على النحو التالي:

"هذا الرباط يفسر لنا لعنة الذهب وحب الطوارق للمال"[2].

ترجمة مقترحة:

إن هذا الرباط هو ما يفسر "لنا"[3] لعنة الذهب وتفضيل الطوارق للفضة.

الطوارق يفضلون الفضة، لأن الذهب معدن يجر النحس حيثما حل؛ وهذا ما أكده إبراهيم الكوني، غير مرة، نجد هذا التأكيد، على سبيل المثال، في الحوار الذي أجرته معه جريدة ليبراسيون الفرنسية، بمناسبة صدور الترجمة الفرنسية لرواية المجوس. سأنقل هنا النص الفرنسي ثم أعقب بما يقابله بالعربية:

Aujourd'hui encore, les femmes touarègues n'ont que des bijoux d'argent.[4]

واليوم أيضا لا تملك "لا تقتني" نساء الطوارق إلا حليا من فضة.

ترجمة كلمة "chacal" بـ"الضبع"[5] والكلمة في قاموس المنهل تعني ابن آوى[6]، وهو المعنى الذي يعطيه قاموس لاروس للكلمة[7] أيضا، والكوني لم يتحدث قط إلا عن بني آوى[8]. وربما يكون الفرق غير مهم في سياق آخر أما هنا، في رواية المجوس، فكلمة "بني آوى" لها دلالة اجتماعية، وهي دلالة ستختفي لو استعملنا الضباع بدل بني آوى.

ترجمة كلمة "épigraphe" بـ"مقولة مأثورة" ولم أجد مصدر هذه الترجمة؛ فما اطلعت عليه من معاجم ثنائية اللغة، أو تلك المتخصصة في المصطلحات الأدبية، لم تعط الكلمة هذا المعنى؛ فمعجم مصطلحات نقد الرواية يترجمها بـ"شاهد" وهو عنده " قول، مقتبس عادة، يوضع في صدر كتاب أو فصل أو مقالة بين العنوان وبداية النص"[9]، أما معجم مصطلحات الأدب فيعطيها معنيين اثنين:

[1] ص 32 في الأصل الفرنسي.
[2] شعرية المكان في الأدب العربي الحديث، تحرير بطرس حلاق وآخرين، ترجمة نهى أبو سديرة و عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، ط/1 2014 ص42
[3] غير موجودة في النص الفرنسي.
[4] كتابات على الرمل، عنوان المقابلة التي أجرتها الجريدة مع الكوني وقد نشرت في عدد الخميس 2005/3/3.
[5] شعرية المكان مرجع سبق ذكره ص 38
[6] سهيل إدريس، المنهل معجم فرنسي عربي دار الآداب بيروت ط/35 2005
[7] دانيال ريغ، لاروس السبيل معجم عربي/ فرنسي و فرنسي/ عربي مكتبة لاروس باريس د ط/ت
[8] يجمع ابن آوى على بنات آوى غير أن الكوني يستعملها بالمعنى المجازي لذلك فهو يعاملها معاملة الملحق بجمع المذكر السالم.
[9] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية مكتبة لبنان ناشرون ط/1 2002 ص 113

1- العبارة التذكارية: عبارة محفورة على حجر " النقش"

2- الاقتباس الاستهلالي: اقتباس في صدر كتاب، أو فصل منه[1].

إن الشاهد أو الاقتباس الاستهلالي هو المناسب لما فعله الكوني؛ فقد اقتبس، في رواية التبر[2]، نصا من أسطورة يونانية ووضعه بين العنوان وبداية الرواية.

ليس الهدف من تسجيل هذه الأخطاء التقليل من الجهد الذي بذلته الباحثة الكريمة في سبيل نقل هذا النص إلى اللغة العربية، بل أردت أن أقول إن هذه الأخطاء كان من الممكن تفاديها لو اطّلعت الباحثة على روايات الكوني.

1.3 عملي في الترجمة:

حاولت ما أمكنني أن أكون أمينا للنص الأصلي، ولذلك فقد ضحيت بجمال العبارة[3] طمعا في الحصول على عبارة أكثر وضوحا وأتم بيانا، والمرة الوحيدة التي تصرفت فيها بالزيادة، هي أنني تصرفت في العنوان الأصلي تصرفًا بسيطًا، فالعنوان الأصلي هو:

Quête de Waw et quête du sens dans l'œuvre d'Ibrahim Al-kuni.

ولو نقلته حرفيا لكان على هذا النحو:

البحث عن واو والبحث عن المعنى في أعمال إبراهيم الكوني

ولأن البحث لا يتعلق بأعمال إبراهيم الكوني جميعها، وإنما بالمجموعة القصصية " الوقائع المفقودة" فقط، أحببت أن أخصصه، أما القول بأن ما ذكر في هذه الدراسة قد ينسحب على كل أعمال الكوني فمسألة فيها نظر.

بقي أن أشير إلى أن الناقد لم يجعل لمقاله عناوين رئيسية[4] أو فرعية، وإنما اكتفى بالإشارة في بداية النص إلى أن مقاربته للوقائع المفقودة ستكون وفق ثلاث نقاط رئيسية: المدينة الضائعة، والإشكالية الأجناسية[5]، والمقصود بها التساؤل عن الجنس الأدبي الذي تنتمي إليه المجموعة، بمعنى هل هي مجموعة قصصية مستقلة بنفسها؟ أم أنها جزء من عمل آخر كبير هو رواية المجوس؟ والنقطة الثالثة البحث عن المعنى، والمعنى هنا يشمل معنى النص، أي المجموعة القصصية موضوع الدراسة، ومعنى الوجود الإنساني بشكل عام؛ ذلك أن البحث عن واو يتعلق بالبحث عن المعنى من جهتين: تبحث الشخصيات داخل الحكاية عن واو وهي في بحثها هذا تبحث عن معنى لوجودها، وقارئ هذه النصوص يجد نفسه هو الآخر مجبرا على البحث عن واو لكي يجد معنى لهذه النصوص. إن ترك الكاتب بحثه دون عناوين قد

[1] مجدي وهبة ينظر معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة لبنان بيروت د ط/ت ص142

[2] رواية البئر هي الرواية الأولى من رباعية الخسوف. وقد صدرت في طبعتها الثانية عن دار التنوير سنة 1991

[3] انتبهت ، وأنا أراجع البحث بعد الانتهاء من كتابته ، إلى ما ينطوي عليه هذا التعبير من تبجح غير أنني فضلت الإبقاء عليه؛ لأنه كان وليد العفوية.

[4] أجاز مجمع اللغة العربية مثل هذا الاستعمال، ينظر عبد اللطيف الشويرف، تصحيحات لغوية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1997 ص 36

[5] نسبة إلى الأجناس الأدبية والنسبة إلى جمع التكسير جائزة عند الكوفيين وقد أجازها مجمع اللغة العربية ينظر عبد اللطيف الشويرف التدريبات اللغوية منشورات جمعية الدعوة الإسلامية 2000 ج2 ص 56 57.

أوقعني في حيرة من أمري؛ هل أجعل للنص عناوين هي من صنعي؟ أم أتركه غفلا كما كتبه صاحبه؟ أم أن الأنسب، من كل ذلك، أن أجعل للنص أرقاما تشير إلى بداية كل نقطة من النقاط التي عالجها الناقد؟ وهذا الأخير هو ما فعلته.

فيما يتعلق بالهوامش فقد أبقيت الهوامش الأصلية باللغة الفرنسية، أما الهوامش التي هي من صنعي فقد ذيلتها بـ"المترجم".

آمل أن أكون قد وفقت في نقل هذا النص إلى العربية بشكل صحيح، وأن يسهم ذلك في تسليط الضوء على بعض أعمال الكوني. فإن وفقت فهو ما آمله و أصبو إليه ، وإن كانت الأخرى ، ولا كانت ، فلست بأول راضٍ، بعد طول عناء، من الغنيمة بالإياب.

إن هذا البحث في أصله مداخلة قدمت في إطار ندوة حول المدينة في الرواية المعاصرة في المشرق، ولعل ما يبدو غريبا أن هذه المداخلة تتعلق بأكبر رحالة من بين الكتاب العرب المعاصرين، عنيت الكاتب الليبي إبراهيم الكوني القادم من عالم الطوارق لماذا التحدث عن كاتب، كل أعماله تختار رمال الصحراء فضاء لها، في ندوة عن المدينة ؟

للإجابة عن هذا السؤال سيتمحور البحث حول " الوقائع المفقودة من سيرة المجوس ونصوص أخرى" مجموعة قصصية نشرها إبراهيم الكوني سنة 1992م وهي تضم اثني عشر نصا "هكذا يسميها الكاتب الذي لا يعطيها أية تسمية أخرى تتعلق بجنسها الأدبي"، إنها نصوص يوحي ظاهرها بعدم التجانس، الغالبية العظمى منها ولكن ليس جميعها ، تتعلق بعمل أدبي آخر هو رواية المجوس، وهي رواية نشرها إبراهيم الكوني سنة 1991م ؛ لأن الكثير من نصوص "الوقائع المفقودة" يمكن دمجها بسهولة في هذا القسم أو ذاك من رواية المجوس، بل إن بعض نصوص"الوقائع المفقودة" يطلب، لكي تصبح قراءته ممكنة، أن يوضع في تماس مع هذه الفقرة أو تلك من رواية المجوس؛ ولكن هل يمكن والحال هذه قراءة "الوقائع المفقودة" بعيدا عن رواية المجوس؟ وهل يمكن فهمها بشكل مستقل عن الرواية؟ المؤلف لم يعط أية إشارة للقارئ الذي عليه أن يسهم بشكل فعال في إعطاء معنى لهذه النصوص.

إن تيمة[1] المدينة الضائعة، والإشكالية الأجناسية[2]، والبحث عن المعنى، ستشكل ثلاثة محاور لمقاربة "الوقائع المفقودة" بحسبانها جزءا من عمل ضخم بني بإيقاع فائق السرعة؛ ذلك أن إبراهيم الكوني قد أنجز أكثر من ثلاثين عملا في أقل من عشرين سنة.

تختار أعمال الكوني جميعها قلب الصحراء الكبرى فضاء لها، وبشكل أكثر تحديدا إنها تختار عالم الطوارق الصحراوي مسرحا لأحداثها، ومع ذلك فلا يوجد عمل واحد من بين هذه الأعمال لا يحمل حنينا غير محدود لمدينة بدئية[3] ضيعها الرجال الزرق[4] في زمن لم يعد يذكره أحد، إن ترحال الصحراوي[5] الدائم في الصحراء يجد في أعمال إبراهيم الكوني تفسيرا له: إن لهذا المسير الأبدي هدفا محددا، يتمثل هذا الهدف في لقاء "واو" المدينة البدئية التي طرد منها الصحراوي، ونحوها يحلم دوما بالعودة من جديد.

[1] ينظر الهامش رقم 2
[2] ينظر الهامش رقم 19 من هذا البحث، المترجم.
[3] أي متعلقة ببداية الحياة على وجه الأرض. المترجم
[4] الطوارق وسموا بالرجال الزرق نسبة إلى لباسهم الأزرق. المترجم.
[5] فضلت ترجمة nomade بالصحراوي على ترجمتها بالبدوي، ففي الصحراوي ما في البدوي من معاني عدم الاستقرار، الاستقرار، وليس فيها ما في البدوي من المعاني السلبية، علاوة على أن الكوني لم يستعمل البدوي وأهل البادية إلا نادرا في حين يستعمل الصحراوي وأهل الصحراء كثيرا. المترجم

اسم هذه المدينة "واو". في الواقع هناك مواضع عديدة تسمى واو موجودة في الصحراء الليبية مثل: واو الكبير، و واو الناموس، وهي مواضع من الممكن تحديدها على الخارطة الجغرافية[1] وهناك واوات أخرى أفريقية قابلة لأن يتعرف عليها هي الأخرى؛ غير أن واو هذه "واو الكبرى" تتأبى على كل الخرائط، ويكفي للتدليل على ذلك أن ننظر في الرسوم التي يجعل منها الروائي أغلفة للعديد من كتبه، كالرسم الذي يغطي رواية المجوس، فعلى هذه الخريطة يمكننا أن نميز البحر المتوسط وبعض المناطق الجبلية غير أن ما يشد الانتباه ويحيره في الوقت نفسه أننا عبثا نبحث عن مركز لهذه الخريطة لأنه غير موجود ألبتة.

إن هذه الخريطة تتفق تماما مع الفضاء الذي ترسمه كل أعمال إبراهيم الكوني، إنها جغرافية منظمة في دوائر متشابكة المركز: تمثل المنطقة الخارجية كل ما يقع خارج الصحراء الكبرى. أما الدائرة الأولى فتبدأ مع صحراء الحمادة الحمراء، المكان المرجعي في أعمال إبراهيم الكوني، داخل هذه الدائرة توجد دائرة أخرى في وسطها تختفي واو الكبرى مركز الصحراء، بل مركز الكون، ما إن يدخل الصحراوي إلى هذه الدائرة الثانية محاولا الوصول إلى مركزها حتى يصبح من العبث البحث عن مرجعية واقعية للفضاء النصي ، للولوج في الجغرافية-الحلم التي توظف كل ميثولوجيا العالم، جامعة حول الخرافات الطوارقية[2] القديمة أساطير تنتمي إلى كل الآفاق، يأتي عالم الطوارق في الوسط ثم العالم الإسلامي بتخومه العربية، وعالم أفريقيا السوداء بسحرته، وفي الخارج يأتي ما تبقى من العالم، شاملا، من بين أشياء أخرى، الميثولوجيا الإغريقية، يضاف إلى ذلك كل المؤلفين الذين تستدعيهم كتب الكوني غالبا في عتبات النص[3]"، أي خارج دائرة النص" على شكل اقتباسات.

إن جغرافية أعمال الكوني الروائية لها وجهة محددة إنها تتجه دائما نحو المركز المركز الحاضر الغائب الذي يحتضن "واو" المدينة الحلم التي تتأبى على كل الخرائط. إن اسم هذه المدينة المبتغاة "واو" هو في الوقت نفسه علامة كتابية مرتبطة "بفونيم" يحرص الصوفية على عدم نطقه إلا بطريقة سرية لأنه يشير إلى المقطع الأخير من كلمة "هو" الذي يعود على اسم الإله، فعندما يذكر الصوفيون الأسماء الإلهية فإنهم يرددون بصوت عال المقطع الأول من كلمة "هو" أما المقطع الثاني المحمول بالحرف "واو" فغير مسموح حتى بمجرد الهمس به؛ إنه يتحقق داخليا في العالم الباطن[4]. وإذا كانت الدائرة الأولى تمثل العالم المحسوس والواقعي، ففي قلبها تنفتح الدائرة الثانية التي تمثل الكتابة السحرية، إن البحث المكاني عن "واو"، بوصفها المركز الخفي، يفرض نفسه، خطة سير للبحث عن المعنى؛ لذلك فالعلامة "واو" تتطلب تفكيكا مزدوجا.

وهكذا تختفي "واو" في عمق نص يتعلق كل معناه بها، هذا التعلق هو الذي يكسب أعمال إبراهيم الكوني كل معناها المزدوج الواقعي والسحري في آن معا. لقد سئل إبراهيم الكوني لماذا لا يتحدث إلا عن الصحراء؟ وما إذا كان بإمكانه تخيل أمكنة أخرى ووصف آفاق خارجة عن الصحراء كالمدن الأجنبية مثلا؟ فأجاب إن الصحراء هي الكل ومن يكتب عن الصحراء يكتب عن العالم بأسره، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن الصحراء هي الخلاء وهل يمكن فك رموز هذا الخلاء؟ إن هذا المعنى هو الذي يبحث

[1] يذكر إبراهيم الكوني في رواية المجوس نقلا عما يسميها أسطورة الطوارق أن واحات واو في الصحراء ثلاث: واو الكبير وواو الناموس وواو حريرة واو الأخيرة واحة مفقودة لا يعثر عليها إلا التائهون الذين فقدوا الأمل في النجاة ... ما إن يخرج الضيف من أسوارها حتى تختفي ويتوارث أهل الصحراء ... أن البحث عنها يجري منذ آلاف السنيين ص 170 المترجم.

[2] بخصوص النسبة إلى جمع التكسير ينظر الهامش رقم 19 من هذا البحث.

[3] فضلت ترجمتها على هذا النحو تأسيا بمن سبقوني إلى ذلك، على أن هناك من ترجمها لوازم النص، وهناك من يترجمها بالبارانص، وفي كل الأحوال هي تعني: العنوان، وعناوين الفصول، والحواشي التوضيحية، والاقتباسات التي ترد في بداية فصول الروايات وغير ذلك. ينظر لطيف زيتوني مرجع سبق ذكره ص 138 139 المترجم.

[4] لم يذكر المؤلف مصدر هذه المعلومة. المترجم.

عنه الصحراوي في ترحاله المستمر بحثا عن "واو" المفقودة، وهو، أي الصحراوي، يجعل من نفسه في كونه الطوارقي حاملا للتساؤلات الكونية.[1]

أما قارئ أعمال الكوني فإنه مجبر على إيجاد طريقه إلى المعنى على طريقة الصحراويين الذين يكتشفهم في هذه الروايات تائهين ضائعين في صحراء شاسعة مترامية الأطراف، إنه مثلهم مدعو لفك الرموز، وقراءة العلامات. إن الصحراوي في بحثه عن واو يحاول استنطاق الأحجار والرسومات الصخرية الحاملة لرسائل الأسلاف ، والمكتوبة بحروف التيفيناغ[2] مما يجعل القارئ العربي يجد نفسه في العديد من أعمال إبراهيم الكوني، وفي مواضع عديدة من الوقائع المفقودة في مواجهة علامات لا يمكنه فك رموزها؛ لأنها لا تمت للغة العربية بأية صلة؛ يتعلق الأمر بكلمات وأحيانا بجمل تامة مكتوبة بلغة التماهق[3]، وبحروف التيفيناغ، ومزروعة داخل النصوص القصصية والروائية. لقد تم توجيه نقد لإبراهيم الكوني منذ أول ظهور لأعماله الإبداعية وطلب منه وضع ملحوظات شارحة لهذه الكلمات والعبارات العصية على فهم القارئ العربي، هذه العلامات لها وظيفة محددة: إنها تشكل جزءا من تقنيات الكتابة لدى إبراهيم الكوني وهي تقنيات تجمع بين الطرائق المختلفة في تعريف الشخصيات ، والبدء in medias[4] res والاستعمال المتكرر لكلمات معينة لا تحيل على شيء سابق معروف ، كل ذلك في تسلسل للأحداث مضطرب ومشوش يجعل من بناء الحكاية تمرينا معقدا ، وغير مضمون النتائج، يضاف إلى ذلك أن الكون الروائي لإبراهيم الكوني يخضع لاستراتيجية تهدف إلى طرح القارئ أرضا بشكل مستمر في اللحظة التي يعتقد فيها أنه قد وجد طريقا إلى المعنى. في حقيقة الأمر كل قارئ يوغل في أعمال إبراهيم الكوني ويعتقد أنه وجد مفتاحا لفهم هذه الأعمال تنكشف له في اللحظة نفسها مناطق جديدة معتمة ، ويتضح له أن هذا المعنى الذي توهم الظفر به قد أظهر له مناطق جديدة مظلمة ، وأوجد أسئلة أخرى تبحث إجابات.

يشبه قارئ إبراهيم الكوني أهل الصحراء الذين يكتشفهم في هذه الأعمال، إنه مثلهم مدعو لأن ينظم سيره في كون غير قابل للقياس، إن إحدى خصائص أدب إبراهيم الكوني هي رفضه للحدود سواء أتلك المتعلقة بالأجناس الأدبية رواية، أو قصة، أم تلك المتعلقة بالكتب، ولذلك يمكن التساؤل، في هذا السياق، عن مدى إمكانية قراءة "الوقائع المفقودة" بمعزل عن رواية المجوس، ورواية المجوس ، هي الأخرى ، هل هي مستقلة عن بقية أعمال الكاتب الليبي؟ أية دائرة يمكنها أن تحدد الفضاء النصي لتهيئ لقراءة متجانسة، ومستقلة، وحاملة لمعنى؟ إن انبثاق الشخصيات والأماكن من رواية لأخرى قد جعل من الحبكة الروائية[5] أحداثا مدوخة، معقدة مكملة لإيجاز هنا، فاتحة لثغرات جديدة هناك، جاعلة من المستحيل إيجاد معنى وحيد ونهائي لهذه الأعمال. وهكذا فإن أغلب نصوص "الوقائع المفقودة" يمكن ربطها برواية المجوس؛ ولذلك فإن الخطوة الأولى لقراءة هذه النصوص هي وضعها داخل الرواية، إن الرحلة من الدائرة الصغيرة التي تمثلها "الوقائع المفقودة" إلى الدائرة الكبيرة التي تمثلها رواية المجوس تظهر لنا

[1] Question posée en marge du colloque sur la poétique de l'espace dans la littérature arabe moderne, actes publiés sous la direction de B. Hallaq, R. Ostle et S. Wild, presse Sorbonne Nouvelle, Paris 2002

[2] الأبجدية الليبية القديمة المترجم

[3] لغة الطوارق المترجم.

[4] هكذا في النص وهو تعبير لاتيني معناه حرفيا في وسط الأشياء au milieu des choses وهي تقنية من تقنيات السرد تكمن في البداية من وسط الأحداث بمعنى أن يبدأ السارد بسرد ذروة الحبكة وأزمتها ثم يعود فيحكي ما أدى إلى هذه الأزمة. ينظر مجدي وهبة، مرجع سبق ذكره، ص247. المترجم.

[5] وبعضهم يسميها العقدة وهي أحد الأركان التي تقوم عليها الرواية وهي في أبسط تعريفاتها: حدث يقود إلى حدث آخر. ينظر إبراهيم خليل بنية النص الروائي الدار العربية للعلوم ناشرون 2010. المترجم

مدى ارتباط نصوص "الوقائع المفقودة" بالرواية الكبيرة، إلى درجة أننا يمكن أن نرى في هذه النصوص فتاتا تساقط من الرواية الكبيرة ؛ بل يمكن الافتراض، والحال هذه، أن الكاتب قد عدل في اللحظة الأخيرة عن إدراج هذه النصوص في الرواية لنشرها في كتاب مستقل.

ولكن وبالرغم من كل هذا التقارب بين نصوص "الوقائع المفقودة" ورواية المجوس، فإنها من الممكن أن تقرأ بشكل مستقل عن الرواية، أي أنها من الممكن أن تقرأ بالاكتفاء بحدود مجموعتها؛ لأن النصوص التي تضمها "الوقائع المفقودة" تتحدث فيما بينها بلغة خاصة ووضعها وجها لوجه يجعل منها نصا متجانسا يدور حول تيمة مركزية هي غموض الإنسان في جوهره نفسه.

في الكون الروائي لإبراهيم الكوني يعيش كل صحراوي في عالم مكون من دائرة خارجية واقعية يتحرك هو داخلها، وأخرى داخلية يتحرك فيها بشكل خاص الجن. وفضاء السرد شاهد على هذا اللقاء بين الإنسان والجان إلى الحد الذي يصعب فيه التمييز بينهما. أشخاص عديدون كانوا ثمرة لقاء بين جني وأنسية، أو جنية وإنسي، إنهم الخس[1] إن الخس له جانب بشري وآخر جني ، ولكن من هو الخس بشكل قاطع؟ ومن ليس كذلك؟ إن اللقاء بين الإنس والجن من القوة بحيث أن كل إنسان يجد نفسه إنسيا وجنيا في آن معا، فهل على الإنسان أن يصالح بين الإنسي والجني داخله؟ أم عليه أن يلغي أحدهما لصالح الآخر؟ حول هذه الأسئلة المتعلقة بثنائية الكائن البشري، وفي أحضان المكان المتشابك المركز تتشكل قصص هذه المجموعة "الوقائع المفقودة من سيرة المجوس ونصوص أخرى"

يصور النص الأول من هذه المجموعة وهو "الربة الحجرية"، في المشهد الأول، درويشْا، والدرويش من الشخصيات الحاضرة دومًا في أعمال إبراهيم الكوني، يقوم هذا الدرويش بإخصاء نفسه ثم يقف بعد ذلك في البرزخ، وهو الحد الفاصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة، على هذه العتبة يجد نفسه، وهو الذي كان يسعى لمعرفة السر، في مواجهة "الربة الحجرية" وهي صورة قديمة منحوتة في الجدار الصخري، فأخذت تحكي له قصتها تنبثق، انطلاقا من هذه القصة الإطار، قصة أخرى عن امرأة من الطوارق فائقة الجمال اختطفت من قبل خس ينتمي لعالم الجن استطاع، عن طريق طقوس استسرارية[2] معينة، أن يثبتها إلى الأبد في الحجر محولا إياها إلى ربة حجرية.

إذا كان النص الأول في الوقائع المفقودة يرينا تحول الإنساني إلى جن، فعلى الطرف المقابل يفعل النص الأخير النقيض: يبدأ هذا النص، كالنص الأول، بطقس لكنه هذه المرة طقس مختلف إنه طقس العبور إلى الرجولة، طقس الأنسنة، طقس التسجيل في هذا العالم بطلة هذه القصة فتاة من الطوارق كانت تود إعادة الشاب أوداد الرجل الودان الذي كان يعيش وحيدا على قمة الجبل المقدس، لقد أرادت أن تعيده إلى عالم البشر علها تحصل منه على ولد.

إن قصتي البداية والنهاية في الوقائع المفقودة تمثلان محاولتين متطرفتين لحل ثنائية الكائن البشري، تهدف الأولى إلى إلغاء كل ماهو بشري في الذات، هذه هي الرغبة التي قادت الدرويش لكي يخصي

[1] يشير إبراهيم الكوني في الصفحة 16 الهامش 1 من الربة الحجرية ونصوص أخرى، إلى أن الخس كائن بين الإنسان والجان غير أنه لا يذكر مصدر هذه المعلومة. وقد أشار الثعالبي في كتابه فقه اللغة إلى أن الخس هو المتولد بين الأنسي والجنية. ينظر الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ضبطه وعلق عليه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية. ط/2 2000 ص 117 المترجم

[2] ترجمة للكلمة الفرنسية initiation والمقصود بها الطقوس التي تقام عند إطلاع عضو جديد على أسرار الديانات القديمة أو الجمعيات السرية الحديثة. المترجم.

نفسه، وهي أيضا التي جعلت الخس يحول جالاتيا[1] الطوارقية إلى ربة حجرية . أما الثانية فتمثلها الفتاة الطوارقية التي كانت تحاول أن ترجع إليها شخصا مرتبطا جدا بالودان المقدس، لقد ربطت نفسها بهذا المصير مع هذا الإله الجبلي والذي تفشل في إعادته إلى عالم البشر.

بين هذين الطرفين تضعنا كل نصوص الوقائع المفقودة الأخرى في سياق البحث عن مكان وسط، أو بشكل أكثر تحديدا إن النص الذي يشغل منتصف هذه المجموعة هو نص العبور وهو نص يحكي تجوال شيخ القبيلة "الزعيم" بحثا عن واو، ويخبرنا النص أن أبرز خصال هذا الزعيم هي إجادة إمساك العصا من الوسط ؛ ولذلك فهو يحاول أن يجد موقفا وسطا بين الموقفين المتطرفين: موقف الدرويش، وموقف الفتاة الطوارقية، يتمحور مشروع الزعيم حول ما يشكل في فضاء النص الصفحة الوسطى التي تعرض أسباب ترحال الصحراوي عقب الضياع المضاعف: ضياع واو المدينة الأصل، وضياع آنهي ناموس الأسلاف.

> "لا أحد يعرف حدود الضياع لا أحد يعرف حدود هذا القدر لا في الزمان ولا في المكان. متى تم الخروج متى تم الخروج من واو؟ متى انفصل الصحراوي عن المنبت عن الأصل؟ أين بدأت مسيرة الشقاء؟ أين تبدأ القارة الخرافية المسماة صحراء؟ أين تنتهي حدود العراء؟ حل النسيان ففقد الطريد الذاكرة. كان بإمكان لعنة النسيان أن تتحول إلى رحمة تنقذ الصحراوي من شقاء الحنين وعذاب المنفى. ولكنها أصبحت نقمة إذ أصابت الجسد وأخطأت الروح. فقد الصحراوي بفقدان ذاكرة البدن، طريق العودة إلى "واو" ولكنه لم ينس كما أراد له الجد الأول، فتضاعف الشقاء الروح تبحث تفتش، تطلب الأصل والجسد تانه بطئ، بليد ضيع السبيل إلى الأصل. الضياع الأول أنجب أكثر من ضياع ضاع انهي ففقد الصحراوي دليلا أخر إلى الحياة كانت "واو" دليله إلى السماء وآنهي دليله إلى الأرض والحياة والناس وعندما أضاع الكتاب أصبح الطريق إلى الأرض مقطوعا أيضا أصبح الوجود نفسه ضائعا. وجود الصحراوي في الصحراء وجود ضائع من البداية وإلى الأبد. . الصحراء نفسها قارة معزولة ضائعة عن الكون الصحراء ثائهة منذ الأزل "[2]

إن شيخ القبيلة الزعيم، الحاضر دوما في أعمال الكوني، هو أكثر من غيره إحساسا بالحنين الجارف إلى "واو" ؛ لذا فهو يترك قبيلته ويرحل بحثا عنها، في رحلته يجد نفسه متبوعا من قبل جني، إلى الحد الذي أرغم فيه على قتاله في معركة تذكرنا بمعركة يعقوب في العهد القديم، لقد كان صراعا ملحميا بسلاح متكافئ إلى أن انهدت قوى الزعيم واختفى الجني، من يومها والزعيم يسائل العرافين عن سر هذا الصراع مع هذا الجني الذي جاء ليعذبه بشكل مستمر، إلى أن وجد يوما من يجلو له هذا السر، إن الجني الذي كان يتبعه ليس إلا أناه، إن البحث عن "واو" معناه البحث عن المعنى، وعن الذات في الوقت نفسه"إذا لم تجد واوك في نفسك في سفرك فلن تجدها في أي مكان"[3] هكذا قال له العراف الذي كان ينتمي لعالم الجن.

إن "واو" مدينة شبه مجازية مخبأة في قلب أعمال إبراهيم الكوني، إنها المدينة – الحلم، المدينة التي يرحل الصحراوي بحثا عنها. غير أنها يستحيل أن تبنيها يد البشر. رواية المجوس تعطينا الدليل على هذه الاستحالة، فهذه الرواية تتمركز حول المشروع المعد من قبل السلطان أناي، القادم من تمبكتو لكي يبني في قلب الصحراء مدينة، مدينة رأى فيها أهل الصحراء بعثا لـ"واو". .بتبنيه لهذا المشروع لاقى السلطان أناي مصيرا شبيها بالمصير الذي لاقاه شداد بن عاد في الأسطورة العربية، لقد حاول شداد بن عاد أن يقيم الجنة فوق الأرض بإنشائه لإرم ذات العماد والتي أهلكت بتدخل إلهي، إهلاك "واو" في رواية

[1] إشارة إلى أسطورة بجماليون حيث تحولت جالاتيا من تمثال إلى امرأة حقيقية . الكوني يقوم هنا بقلب هذه الأسطورة فيحول المرأة الحقيقية إلى تمثال وكأنه يقول إن الجمال الحقيقي لا وجود له خارج الفن. المترجم.

33les les faits oubliés de la Geste de Pains, et autres texts,1991,p.99

[3] Idem.p 103

المجوس لم يكن بتدخل إلهي، بل كان تدميرها بتحالف البمبارا، وبني آوي، والجن لقد جاءوا جميعا لتدمير هذه المحاولة البشرية التي كانت تهدف إلى إقامة بديل عن واو يغني عن إيجادها.[1]

تعطينا "الوقائع المفقودة" الدليل على أن محاولة السلطان "اناي" لم تكن تنقصها الجدية؛ ذلك أنه أوكل أمر تنفيذ هذا المشروع للشخص الوحيد الذي بإمكانه تنفيذه، إنه "أخموك" الرجل القزم الصغير في حجمه، والذي كان محل سخرية الأطفال واستهزائهم عندما كان صغيرا، لقد كان عاشقا للحجارة، محبا لانتقائها منذ نعومة أظفاره، وبخاصة الحجارة الغامضة التي كان يعتقد أنها تحوي رسالة مخبوءة، بهذه الحجارة ما كان في حاجة للقص والقطع لكي يشيد الجدران، وبهذه الحجارة كان يريد أيضا تنفيذ هذا المشروع الذي أفسد لاحقا، لقد كان البناء الوحيد الذي يملك موهبة جعل الحجر يتكلم.

خاتمة البحث[2]

إن الإصغاء للغة الحجارة، ولغة العالم، وإيجاد المعنى المفقود، وإكمال الرحلة السرية واكتشاف المدينة المفقودة "واو" المعادل للقيا الإنسان لنفسه، هذه اللقيا المتممة للعهد بين الإنسان والجني الذي يسكنه، كل ذلك يجعل من نصوص "الوقائع المفقودة" تنويعا على "تيمة" واحدة إنها الرغبة المحمومة التي يجدها الصحراوي الطوارقي من أجل "واو" المدينة المفقودة.

في هذا البحث عن المدينة الذي هو بحث عن المعنى أيضا، تقود الدوائر المتشابكة نحو المركز مركز الصحراء، ومركز الكون، إن البحث عن "واو" من خلال آثارها، بحث عن الناموس المفقود، بحث عن الكتاب "بال التعريف" من خلال الكتابات المتناثرة الغامضة، التي تحتاج إلى أن تفك رموزها تلك هي مهمة الصحراوي في أعمال إبراهيم الكوني، الصحراوي المنهمك، على غرار زعيم القبيلة، في ترحال لانهاية له. تلك هي أيضا مهمة قارئ هذه الأعمال.

مصادر البحث ومراجعه

باللغة العربية:

1- إبراهيم خليل بنية النص الروائي الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت 2010

2- إبراهيم الكوني:

البئر. دار التنوير بيروت. ط 2 1991

الربة الحجرية. الدار الجماهيرية، ليبيا، ط/1 1992

المجوس. الدار الجماهيرية، ليبيا ط/1 1991

3- أحمد الطويلي، محمود المسعدي وكتابه حدث أبو هريرة قال ، دار بو سلامة للطباعة ، والنشر والتوزيع. تونس، د/ت

4- بطرس حلاق وآخرون "محررون"، شعرية المكان في الأدب العربي الحديث، ترجمة نهى أبو سديرة و عماد عبد اللطيف، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط/1 2014.

[1] Luc-Willy Deheuvels Le lieu de l'utopie dans l oeuvre d Ibrahim al-kuni La poétique de l'espace...op. cit. P 25-43.

[2] غير موجودة في الأصل المترجم

5- الثعالبي، فقه اللغة وأسرار العربية، ضبطه وعلق عليه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، ط/2 2000

6- دانيال ريغ، لاروس السبيل معجم عربي/ فرنسي و فرنسي/ عربي مكتبة لاروس باريس د ط/ت..
7- سهيل إدريس، المنهل معجم فرنسي عربي دار الآداب بيروت ط/35 2005 .
8- عبد اللطيف الشويرف:

تصحيحات لغوية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1997

التدريبات اللغوية منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2000.

9- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية مكتبة لبنان ناشرون ط/1 2002

10- مجدي وهبة ينظر معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة لبنان بيروت د ط/ 1974

باللغة الفرنسية:

1- Hallaq Boutros, Ostle Robin et Wild Stefan (dir) la poétique de l'espace dans la littérature arabe moderne, presse de la Sorbonne Nouvelle, Paris 2002.
2-Libration, journal français, Jeudi 03/03/2005

Looking for Waw and the meaning Reading in "the Missing Facts" of Ibrahim Al-kuni by Luc-Willy Deheuvels

Mustafa Aljoundi

Department of Arabic Language and Islamic Studies, Faculty of Arts, Alasmarya Islamic University, Libya

Abstract

The present study is a translation of a research study by the French critic Luc-Willy Deheuvels, in which he participated in a symposium on “The City in the Contemporary Novel in the Orient”. It is a research about “The Missing Facts from the Biography of the Magi, and Other Texts” by the Libyan writer Ibrahim al-Kuni. The French critic’s approach aims to reveal the metaphorical meaning of the lost oasis, which is always present in Ibrahim al-Kuni’s literature, named “Waw.” Deheuvels skillfully linked the search for this lost oasis with the search for a meaning for human life on this Earth. His approach to these texts based on three main points: the lost city, the genre issues, i.e., those related to literary genre, and the search for meaning. The original study adopts the new criticism approach, which sees that text

is self-sufficient and does not need anything from outside it to be understood. The purpose of the translation lies in two aims: the first is to introduce the Arab reader in general, and the Libyan reader in particular, to some of what was written about Ibrahim al-Koni in the French literature. The second is to contribute to providing the Arab reader with keys to understanding this literature.

Keywords: missing facts, Waw, desert, Tuareg.